الهجرة

أخلاقيات وتحديات

بقلم
عبد الحليم عباس
محمد سعيد هيكل

بإشراف
اللجنة العلمية العليا
في رابطة العلماء السوريين

12 / ربيع الآخر / 1441 هـ
09 / كانون الأول/ 2019 م

www.syrianscholars.org
info@syrianscholars.org

الهجرة

أخلاقيات وتحديات

بإشراف :

اللجنة العلمية العليا
في رابطة العلماء السوريين

مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فالهجرة ظاهرة قديمة متجددة في تاريخ البشر، وقد شهدت العصور المختلفة ولا تزال حركة واسعة ونشطة لمجموعات بشرية غادرت وتغادر أوطانها باتجاه بلاد وأوطان أخرى، لأسباب شتى ودوافع مختلفة، وفي عصرنا الحاضر تستمر حركة وأزمة المهاجرين بل وتتصاعد بسبب موجات اللجوء والنزوح المتتالية، حيث وصلت أرقام اللاجئين لوحدها وفق تقارير وإحصائيات الأمم المتحدة الى ٦٨.٥ مليون شخص

ومما يؤسف له أن معظم اللاجئين من المسلمين وينتمون الى البلاد الإسلامية التي تعاني الظلم والقهر والفساد والحكومات المستبدة التي سببت الدمار والخراب والفقر والفاقة حيث أفادت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بأن نحو ٧٠% من اللاجئين في العالم البالغ عددهم ٦٨.٥ مليون شخص فروا من خمسة بلدان فقط هي سوريا وأفغانستان وجنوب السودان وميانمار والصومال [١]

وتعد هجرة السوريين الاوسع والأكثر كارثية في القرن الواحد والعشرين اذ اضطر الملايين الى ترك بيوتهم ومغادرتها بسبب القصف الهمجي والاستهداف المباشر لهم بالبراميل المتفجرة والأسلحة الفتاكة، وقد طال الاستهداف حتى المدارس والمشافي ودور العبادة التي تحظر القوانين الدولية استهدافها بأي حال من الأحوال ووفق

(١) موقع الجزيرة ، تحت عنوان: (هذه الدول تصدر ٧٠% من لاجئي العالم) بتاريخ ٢٠١٨/٦/١٩. (https://www-aljazeera.net)

الاحصائيات فقد تجاوز عدد اللاجئين الفارين من النزاع في سورية، بحلول نهاية ٢٠١٧ الى اكثر من (٦.٣) مليون شخص خارج البلاد ، بالإضافة إلى نزوح (٦.٢) [١] مليون شخص داخلها ، أي أن حوالي نصف السوريين أصبحوا في حالة نزوح أو لجوء .

ولابد من التنويه هنا أننا استخدمنا مصطلح الهجرة في البحث بشكل عام لذيوع وشيوع هذا المصطلح في البيئة الإسلامية، ولأن موضوع البحث مما يهم ويحتاجه المهاجر واللاجئ على حد سواء، وإن كان السوريون يصدق عليهم وصف اللاجئين وفق تعريف وتصنيف الأمم المتحدة والتي تؤكد في كل مناسبة على التمييز بين مصطلح المهاجر واللاجئ وتحذر من الخلط بينهما نظرا لما يترتب على ذلك من أوضاع حقوقية وقانونية

فاللاجئون – وفق الامم المتحدة –هم أشخاص لا يمكنهم العودة إلى بلدهم الأصل بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد أو الصراع أو العنف أو ظروف أخرى أخلّت بالنظام العام بشكل كبير، وهم بالتالي بحاجة للحماية الدولية.

ويمكن للخلط بين اللاجئين والمهاجرين أو الإشارة إلى اللاجئين على أنهم فئة فرعية من المهاجرين أن يؤثر بشكل كبير على حياة وسلامة الأشخاص الفارين من الاضطهاد أو الصراع.

ومما لا شك فيه أن جميع الأشخاص الذين يتنقلون بين البلدان يستحقون الاحترام الكامل لحقوقهم الإنسانية وكرامتهم إلا أن اللاجئين هم مجموعة محددة

(١) https://www.alaraby.co.28/3/2117

ومحمية في القانون الدولي لأن الوضع في بلدانهم الأصل يجعل من المستحيل بالنسبة لهم الذهاب إليها، وتسميتهم باسم آخر يمكن أن يعرض حياتهم وأمنهم للخطر.

وتم الاعتراف بالفارق المهم بين اللاجئين والمهاجرين من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في إعلان نيويورك بشأن اللاجئين والمهاجرين. [١]

هذا واسهاما من اللجنة العلمية العليا في رابطة العلماء السوريين في نشر الوعي بين المهاجرين وإحاطتهم بالقيم والأخلاق الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم في لجوئه وهجرته، وإيقافهم على السلبيات والايجابيات التي ربما يمكن أن تكتنف هجرتهم ، فقد كلفتني وأخي الشيخ مُحَمَّد سعيد هيكل بكتابة هذا البحث المختصر، وقد تقاسمنا الكتابة فيه حيث كتبت المقدمة هذه وأخلاقيات الهجرة، فيما كتب الأخ مُحَمَّد سعيد هيكل عن سلبيات الهجرة وإيجابياتها، والله نسأل التوفيق والسداد والقبول.

(١) http://www.unhcr.org

المبحث الأول :

أخلاقيات الهجرة

إن حركة المسلم وممارساته في الحياة بأبعادها وأشكالها المختلفة محكومة بالشرع ومؤطّرة بالأخلاق ، لا يند منها شيء، ،والهجرة باعتبارها نشاطا وسلوكا بشريا يصدق عليها و يطالها ذلك أيضا ، وفي هذا الفصل سنحاول استعراض اخلاق الهجرة وآدابها ، استنباطا من سيرة النبي ﷺ ، واصحابه الذين عاشوا تجارب ثرية غنية[1] في هذا المجال ، خبروا من خلالها الام الهجرة واحوالها ، وواجهوا متاعبها ومصاعبها ، وعالجوا مشاكلها وتحدياتها ، وفي اطار أخلاقي رفيع ، ويفترض بالمسلم الذي اضطرته ظروفه للهجرة واللجوء أن يقتدي ويستضيء بها ، وينسج على منوالها

الخلق الأول : الصبر واحتساب الأجر

إن النزوح والنأي عن الأوطان والديار أمر يؤلم النفوس، ويولد فيها مشاعر الأسى والحزن والحسرة، ذلك لان الانسان مجبول بفطرته وتكوينه على حب الأرض، والبيئة التي ولد وترعرع ونشأ فيها، ولقد انتابت النبي ﷺ مشاعر الحزن والألم تلك، لدى

(١) من مظاهر ثراء تلك التجربة أن هجرتهم كانت لبيئات متعددة ومختلفة، بعضها يدين بالإسلام والغلبة فيها للمسلمين كما في المدينة المنورة، وبعضها لا يدين بالإسلام والمسلمون فيها لاجئون وأقلية كما في الحبشة

مفارقته مكة، لا سيما وانها تضم بين جنباتها بيت الله الحرام، وقد عبر عن مشاعره الجياشة تلك بقوله ﷺ: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله الى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) [1]

ولا سبيل للتغلب على مشاعر الحزن والأسى، ومواجهة الام الغربة ومعاناتها إلا بالصبر، واحتساب الاجر عند لله، والاستكانة لقضائه وقدره، لاسيما وان الله قد وعد المهاجرين الصابرين بالأجر والمغفرة، والمثوبة العظيمة قال تعالى:

(ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) النحل /١١٠/

وقال تعالى: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). الزمر /١٠/

هكذا نجد القران الكريم يؤكد على مفهوم وخلق الصبر في سياق الحديث عن الهجرة، نظرا لأهميته ونجاعته في مواجهة الصعوبات والتحديات المختلفة التي تكتنف الهجرة وتواجه المهاجر

هذا وللمسلمين المهاجرين المكلومين بترك البلاد والديار في كل عصر، عزاء بالنبي ﷺ ، وأصحابه الذين ذاقوا مرارات الهجرة، وعانوا مشقاتها ومتاعبها، وكابدوا آلامها، ورغم كل ذلك صبروا وصابروا وما وهنوا، ولقد استعرضت أسماء بنت

(١) رواه الترمذي في المناقب: باب فضائل مكة برقم: (٣٩٢٥ -٣٩٢٦)

عميس ﷺ بعضا من المشقات التي تعرضوا لها في هجرتهم للحبشة، بكلمات مقتضبات، لكنها معبرات ومؤثرات، وذلك حين قالت لعمر ﷺ:

(يا عمر كنتم مع رسول الله يعلم جاهلكم ويطعم جائعكم وكنا نحن في أرض الغرباء البعداء وكنا نخاف ونؤذى في الله ورسوله) [1]

والصبر صلابة ومتانة ليس على آلام الغربة والهجرة والمشاق والمتاعب الناجمة عنها فحسب، بل على أداء الواجبات والعبادات، والتشبث والتمسك بالهوية والدين والعقيدة، في بلاد وبيئات ربما يواجه فيها الإنسان الكثير من العنت والمشقة في سبيل ذلك.

الخلق الثاني : الالتزام بالقوانين النافذة في بلاد المهجر

من آداب المهاجرين الذين تضطرهم ظروفهم للهجرة أيضا : مراعاة القوانين النافذة في بلد المهجر وتكييف سلوكهم ومختلف ممارساتهم ونشاطاتهم وفقها ، وتجنب

(١) البخاري (٤٢٣٠) ومسلم (٢٥٠٢- ٢٥٠٣) والحديث بأكمله كما رواه (أبو موسى الأشعري – ﷺ – قال: ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار –أو في أرض– البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأيم الله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نُؤذى ونُخاف وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: «فما قلتِ له؟» قالت: قلت له كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أهل السفينة هجرتان» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتون أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرحُ ولا أعظمُ في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ

الظهور بمظهر المستهين أو المستهتر بها ، اذ ان القوانين انما تواضع عليه الناس لينظم شؤونهم ويضبط احوالهم ، ويوجه نشاطاتهم ،ويحقق الاستقرار والطمأنينة لهم ، وهو نتاج اختيارهم الجمعي لذا فان تجاهله وخرقه فيه انتقاص وإساءة لإرادة المجتمع ، وانتقاص للدولة المعنية بصيانته وتطبيقه ، ولاسيما تلك المجتمعات والدول التي تقدر القوانين وتحرص على الالتزام بها وتطبيقها ، وفي هذا الصدد يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله : "يلاحظ أن مهاجري الحبشة لم يكلفوا بأية مهام دعوية على أرض الحبشة وهذا يفتح أمامنا بابا واسعا في آداب المسلم إذا ما اضطرت ظروفه إلى هجرة فإنه يسعه في هذه الحالة أن يلاحظ قوانين البلد الآخر وان لا يتدخل في شؤونه الداخلية الا بالقدر الذي يسمح به البلد الآخر" [1]

وكلام الشيخ رحمه الله لا يعني السلبية البتة ، وانما العمل ضمن الهوامش المتاحة مع مراعاة الظروف المحيطة ، والأوضاع القانونية السائدة في البلد وعدم تجاوزها .

و عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلد المهجر، شكل آخر من اشكال الالتزام بالقانون ، فكل بلد له تركيبته الاجتماعية الخاصة به ، وطوائفه واعراقه ، وكذلك بنيته واحزابه السياسية ، وعقدهم الاجتماعي والسياسي الذي يتفاعلون في إطاره ، ومن المهم بالنسبة للمهاجرين تجنب الخوض في تلك الشؤون ، وعدم التدخل في المماحكات والتجاذبات الداخلية والتزام جانب الحياد ، وعدم استفزاز طرف أو فئة ضدهم من خلال الانحياز إلى طرف آخر، وقد يحدث ان طرفا أو فريقا ما من أولئك

(١) سعيد حوى: الأساس في السنة وفقهها ج ١ ص ٢٥٦: دار السلام الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ ، وتمام كلامه رحمه الله: (والامر واسع فهو يدور بين رخصة وعزيمة، وللقيادة الراشدة دور في تحديد العمل المطلوب من المهاجرين على ان لا يقع غدر أو نكث أو خيانة من قبلنا، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه لم يكلف جعفرا وأصحابه بالدعوة فإن هناك روايات تفيد أن جعفرا قد دعا واستجيب له).

أكثر تعاطفا معهم وإحسانا لهم من غيرهم ، وقد تكون ميولاتهم ومشاعرهم مع ذاك الشخص أو الفريق ، وهذا أمر طبيعي ومفهوم ومقدر، لكن ينبغي أن لا يدفع ذلك أو يجر لسلوك أو فعل يجرمه القانون .

في نفس السياق ينبغي أن يتمتع اللاجئون بالوعي والحكمة والحذر من المخططات التي يحيكها البعض ، والتي تستهدف إحداث فتنة ووقيعة بينهم وبين الشعوب والحكومات التي استقبلتهم ، ويعملوا على حل و تطويق أي مشكلة تظهر هنا أوهناك بالحكمة ، ووفق الأطر القانونية .

وقد تعرض الصحابة زمن النبي ﷺ لمثل الذي يتعرض له اللاجئون اليوم في بعض بلاد المهجر، من مشاكل ومكائد ، إذ تذكر كتب السيرة ان المنافقين عملوا على استثمار حادثة فردية وقعت بين أجير لسيدنا عمر بن الخطاب اسمه (جهجاه بن مسعود) و(سنان بن وبر الجهني) حليف الخزرج ، تزاحما على الماء أثناء العودة من إحدى الغزوات ، واقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ورأسهم ، وقال مقولته الفجة الرعناء : " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل" وكان يقصد بذلك النبي ﷺ والمهاجرين معه ، كما عمل جاهداً على استثمار تلك الحادثة ، لتأزيم الموقف وتحريض وتأليب الأنصار، حيث خاطبهم قائلا : [هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وقاسمتموهم أَمْوَالَكُمْ أَمَا وَاَللهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ] [1]

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٩٠

غير أن النبي ﷺ احتوى تلك الحادثة بحكمته العظيمة، وحال دون وقوع الفتنة ، وهدأ من روع بعض الذين أغضبتهم مقولة عبد الله بن ابي بن سلول ، وارتحل بالصحابة على عجل ليشغلهم عن الحديث والخوض في تلك الفتنة ، وسار بهم مسافات طويلة على غير عادته حتى ارهقهم التعب ، وعندما اذن لهم بالاستراحة كان النصب قد بلغ مبلغه فيهم فاستغرقوا في نوم عميق ، وبذلك طوق النبي صلى الله عليه وسلم تلك الفتنة ، ونجح في استيعابها واحتوائها ، والحد من آثارها

ومثل هذه الأحداث يمكن أن تتكرر في كل عصر ومصر، فلا بد من الحكماء الذين يعملون على نزع فتيل الأزمات التي تنشب هنا وهناك بين المهاجرين واهل البلد ، وقطع الطريق على الذين يريدون تفجير الأوضاع ، وإحداث الوقيعة والفتنة بين الطرفين ، ربما لتحصيل بعض المكاسب السياسية ، وربما لدوافع وأسباب أخرى ، إذ لوحظ في بعض البلاد أن هذه الإشكاليات تتصاعد وتنفجر وبشكل مفاجئ وبدون أية مقدمات ، قبيل الانتخابات والاستحقاقات السياسية ، ثم سرعان ما تهدأ بعد ذلك وهذا ما حدث في اكثر من بلد أوروبي وغير أوروبي فلابد من الوعي والحكمة والصبر والمعالجة بالحسنى

الخلق الثالث : مراعاة أنماط الحياة والتكيف معها

تختلف المجتمعات البشرية في عاداتها وتقاليدها وانماط حياتها عن بعضها البعض ، نظراً لاختلاف مبادئها وعقائدها وتصوراتها، فلكل مجتمع نمط وأسلوب في الحياة نشأ عليه وألفه واعتاده ، والمهاجر الضيف عليه ان يستوعب تلك الأنماط ، ويتأقلم معها ، و يكيف سلوكه وفقها ، ويراعيها في حركته اليومية ، وان لا يقوم بسلوكيات

وممارسات تعكر صفو المضيفين ، وتنغص حياتهم ، وتخالف ما الفوه في ساعات نومهم ويقظتهم ، واوقات عملهم وراحتهم ، كما ينبغي مراعاة الأعراف الاجتماعية ، والعادات والتقاليد السائدة ، وتجنب الاستخفاف بها .

ذلك أن الأعراف والتقاليد الموروثة ، والثقافة المجتمعية ، لها مكانتها وتقديرها في نفوسهم ووجدانهم الجمعي ، وتشكل هويتهم الاجتماعية، والنيل منها –لاشك – يستفزهم ، ويستفز شعورهم القومي ،ويؤسس للاحتقان وربما الصدام .

الخلق الرابع : تقدير مواقف البلاد والشعوب التي استضافت اللاجئين

من أخلاق المهاجرين أيضا ، تقدير مواقف البلدان والشعوب والحكومات المضيفة لهم ، وشكرهم والثناء عليهم ، والدعاء لهم ، ومقابلة إحسانهم بإحسان مكافئ إن أمكن ، فما شكر الله من لم يشكر الناس ، فالذين فتحوا حدودهم ومدنهم ، ومدارسهم وجامعاتهم في وجه اللاجئين ، وأحسنوا استقبالهم ، وأغاثوا لهفتهم ، لاشك أنهم يستحقون كل تقدير وثناء ، وفي هذا الصدد يمكن ملاحظة ثناء القرآن الكريم لأهل المدينة ، من الاوس والخزرج ، وتسجيل وتخليد مواقفهم في إيثار المهاجرين ، وحسن استقبالهم ، وكذلك إطلاق لقب (الأنصار) عليهم تكريما لهم ، وتقديرا لصنيعهم

قيل لأنس بن مالك ﷺ: أرأيت قول الناس لكم: الانصار، اسم سماكم الله به أم كنتم تدعون به في الجاهلية؟ قال: (بل اسم سمانا الله به في القرآن) [1]

وكذلك ثناء النبي ﷺ، ودعاؤه لهم، وتوصيته المتكررة بهم ، وتوجيهه للمهاجرين بالأمر ذاته، عندما جاؤوه وقد تلبستهم الحيرة في كيفية مكافأة إخوانهم الأنصار على مواقفهم الرفيعة في الإيثار والكرم قائلين: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير، ولقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله عز وجل لهم» [2]

وجدير بالإشارة هنا أن شكر المضيفين ، وتقدير معروفهم وإحسانهم لا يقتصر فقط على المسلمين ، بل خلق يطال كل مضيف ، سواء كان مسلما أو غير مسلم ، وبإمكاننا هنا استحضار ثناء النبي ﷺ على النجاشي ، ووصفه إياه بالملك العادل ، وأيضا كيفية تفاعل الصحابة رضوان الله عليهم مع الحادثة الانقلابية التي تعرض لها ، ودعاءهم له واستغاثتهم بالله لنصره ، وكل ذلك كان قبل اسلامه .

الخلق الخامس : العفة

والعفة عن أموال الناس وأعراضهم خلق آخر من أخلاق المسلمين ، ولربما هي في حق المهاجرين آكد ، لأن بعض الناس يأنفون ويتحفظون من بعض الممارسات والسلوكيات في بلدانهم ، ومنها سؤال الناس ولكن حينما يهاجرون وتغيب الرقابة

(١) البخاري (٣٧٧٦)

(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٠٠، ٢٠١) والترمذي (٢٤٨٧)

المجتمعية ، ويتغير الوسط ، يستمرئون السؤال والطلب ، وهذا مسلك لا يليق الا بالمضطرين العاجزين عن العمل ، أما القادرين على الكسب فعليهم أن لا يكونوا عالة وعبئاً على مضيفيهم وأن يطرقوا أبواب السوق ، وميادين العمل ، ولهم في قصص ومواقف وعفة المهاجرين الأوائل أسوة وقدوة ، فعن أنس ﷺ قال : قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق [١]

ان الرعيل الأول من صحابة النبي ﷺ لم يكونوا انتهازيين ، ولم يستثمروا عواطف الأنصار تجاههم ، بل كانوا نماذج في العفة ، ولم يكن هذا مسلك عبد الرحمن بن عوف فحسب بل شأن الصحابة كلهم ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قالت الأنصار للنبي ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل فقال : لا فقالوا : تكفوننا المؤنة ونشرككم الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا . [٢]

فهذا الحديث يفيد أن الأنصار عرضوا على النبي ﷺ أن يتولى قسمة أموالهم بينهم ، وبين إخوانهم المهاجرين، وقد كانت أموالهم هي النخيل، فأبى عليهم النبي ﷺ ، وأراد أمرا تكون فيه المواساة من غير إجحاف بالأنصار، بزوال ملكية أموالهم منهم، فقال الأنصار للمهاجرين: تكفوننا المؤونة– أي العمل في النخيل من سقيها وإصلاحها– ونشرككم في الثمرة، فلما قالوا ذلك رأى رسول الله ﷺ أن هذا الرأي

(١) البخاري = كتاب البيوع

(٢)صحيح البخاري = المزارعة = رقم ٢٣٢٥

ضمن سد حاجة المهاجرين مع الإرفاق بالأنصار فأقرهم على ذلك فقالوا جميعا: سمعنا وأطعنا .

وفي الختام ليعلم كل مهاجر أنه سفير لدينه في بلاد المهجر، وممثل لقيمه وثقافته وأمته في تلك المجتمعات، وأن الناس ينظرون الى الإسلام والمجتمع الذي ينتسب اليه من خلال سلوكه وتصرفاته، الأمر الذي يتطلب استشعار حجم المسؤولية، والاجتهاد في تقديم صورة إيجابية صادقة، والهجرة تاريخيا كانت إحدى العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام، وذيوع دعوته في بقاع الأرض، ويذكر التاريخ ان الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية في صدرها، ونزوح الكثيرين كان عاملا حاسما في نشر الإسلام في أقطار عديدة .

وبعد استعراض أخلاقيات الهجرة والذي نعتقد أن التخلق بها سبيل إلى الانسجام والوئام الاجتماعي بين المهاجرين والمجتمعات المضيفة لهم وهو ما يمثل هاجساً وتحدياً أساسياً لكلا الطرفين ، ننتقل للحديث عن السلبيات والإيجابيات التي يمكن أن تواجه المهاجر في مهجره .

فالهجرة رحلة شاقة وصعبة والمهاجر تواجهه تحديات مركبة ومعقدة أثناءها ، ذلك أن الهجرة ليست فقط مفارقة مكان لآخر وإنما مفارقة للسياقات والأطر الاجتماعية التي نشأ فيها الفرد وكيف سلوكه وفق محدداتها ومعاييرها والقيم السائدة فيها ، وخلال عملية الهجرة لا يجبر المهاجر على ترك بيته ووطنه فحسب بل على نسق ونمط حياته اليومي وجملة من الممارسات والعادات والتقاليد الاجتماعية التي نشأ عليها وألفها واستقاها من بيئته ، هذا عدا عن التحديات الحياتية والمعيشية والضرورات اليومية الأخرى .

وفي المبحث الذي أمامنا يرصد ويعالج الأخ الشيخ مُحَمَّد سعيد هيكل تلك التحديات والسلبيات ويستعرض أيضا الفرص والإيجابيات التي يمكن أن تتاح للمهاجر ، فالهجرة في كثير من الأحيان تنطوي على فرص كبيرة ، ويمكن أن تكون بوابة للمهاجر إلى تحقيق الكثير من الإنجازات والآمال التي لربما ما كان يستطيع تحقيقها لو بقي في بلده ووطنه .

المبحث ثاني :

إيجابيات الهجرة وسلبياتها

المطلب الأول : سلبيات الهجرة

تنبه : المقصود بذكر بالهجرة هنا هي التي تكون من بلد لآخر ، لأن للهجرة أنواعاً متعددة ، ولكنة المعني بهذا البحث الهجرة الخارجية .

لا شك أن لكل ظاهرة جوانب إيجابية وأخرى عكسها ، وهذا أمر ملاحظ مشهود ، وعلى الإنسان أن يعرف كيف يتعامل مع كل ظاهرة من حيث نقاط القوة فيستثمرها وينميها ، ومن حيث نقاط الضعف فيتحاشاها ويحذرها ، أو يحولها لنقاط قوة ، فالحكيم هو من يحسن التغلب على هذه السلبيات ، ويحولها لإيجابيات وفرص فاعلة ، فقد تكون هذه السلبيات عوامل قوة إن أحسن التعامل معها ، وكما قيل : (كم من محنة فيها منحة) ، وقد تتحول لعوامل ضعف وهزيمة إن استسلم لها ، ووقف عاجزاً عن التعامل معها وتجاوزها .

وهذا دأب المؤمن العاقل الذي يعرف كيف يتعامل مع الابتلاءات بالصبر والرضى والتسليم ، ويعلم أنها اختبار له من مولاه سبحانه وتعالى ، فيثاب ويؤجر لصبره واحتسابه ، وبهذا يكسب آخرته ، ويكون قد تغلب على تلك السلبيات وحولها لصالحه ، وبهذا يكون قد كسب دنياه .

وفيما يلي سنشير لأبرز سلبيات ظاهرة الهجرة من خلال عدد من النواحي :

أولاً : من الناحية الدينية والأخلاقية والفكرية :

١. الانسلاخ من الدين والتحول لدين آخر لدى البعض، وهذه ظاهرة مشاهدة للأسف الشديد عند كثير ممن هاجروا لدول عديدة، وخُدِعوا بمظاهر ما يسمى (الحضارة و التقدم) الوهمية، واتبعوا أهوائهم وانسلخوا عن يدنهم، بل وكثير منهم ربما ترك دينه طمعاً في عمل أو امرأة.....

٢. ضياع القيم والأخلاق والعادات في ظل الاندماج بالبلد المهاجر إليه خاصة إن لم يكن بلداً مسلماً، وذلك للانفلات الصارخ في تلك المجتمعات من أي مظهر من مظاهر الأخلاق أو الأدب الذي تدعو إليه الشرائع السماوية أجمع، ويدعو له العقل والمنطق والذوق السليم.

٣. تعرض المهاجرين لموجات إلحادية تستهدف الجيل الجديد لصرفه عن دينه، وهي موجات ممنهجة ومدروسة، وتستهدف بالأخص الشباب اليافعين، ويحاولون معهم بكل الوسائل والطرق لصرفهم عن دينهم.

٤. فقدان الهوية (تغير العادات والتقاليد...)، وذلك بسبب مخالطة المجتمعات الغربية، والعيش ضمن مجتمعاتها، والانخراط في مؤسساتها التعليمية والتجارية وسائر الجهات الأخرى التي تفرض على المهاجر الالتزام بمبادئ ونظم تلك الدولة، ولو كانت على حساب دين وعقيدة المهاجر، ويلزمونهم على ذلك من خلال توقيع وثيقة الاندماج بتلك الدول التي تلزمهم بالتقيد بأنظمتهم ولوائحهم، وعدم الاعتراض عليها أو مخالفتها، وكمثال بسيط يوضح هذه الفكرة أورد حادثة حصلت لطفل صغير بالمرحلة التعليمية الاولى (٧سنوات) حيث أُلزم الطفل على السباحة المختلطة مع فتيات من سنه ضمن درس النشاط الرياضي، ولما امتنع من ذلك تم استدعاء ولي أمره

المسلم الذي أكّد موقف ولده، فما كان من المدرسة غلا أن ألزمت الأب بقبول طلبهم قائلة للأب: أنت وقعت على قبول كل شيء في دولتنا من خلال توقيعك على وثيقة الاندماج عند دخولك كلاجئ للبلاد .....

٥. ضياع اللغة الأم خاصة عند الصغار، لأنهم سيتركون الحديث بها، ويلزمون بالحديث بلغة البلاد المهاجر إليه.

٦. تراجع البلد المهاجر منه فكرياً وعلمياً، خاصة عند هجرة العلماء والعقول والمفكرين، الذين يهربون بأنفسهم حفاظاً على أرواحهم وأرواح ذويهم، فتسخرهم بلادهم وتحرم من خبراتهم و مهاراتهم، ويؤدي هذا لتراجع النهضة العلية و الفكرية والاقتصادية، ويعود سلباً على دولتهم التي فروا منها، وتستقطبهم الدول التي هاجروا لها، وتوفر لهم كل الإمكانيات والاحتياجات فيرتقوا بهم، ويفتحون لهم المراكز البحثية والعلمية....

٧. انتشار الأمية والجهل في الجيل الجديد بسبب انقطاعه عن الدراسة، وتركها أحياناً للحصول على لقمة العيش، وهذا يؤدي لمشاكل اجتماعية وفكرية واقتصادية، ويتسبب في ظهور جيل أُميّ، ومجتمع هش فكرياً وعلمياً وثقافياً، مما يؤدي لظهور المشاكل المتعددة، بل وظهور الجرائم، وظهور الثالوث الخطير (الجهل– الفقر– المرض)، نسال الله تعالى العافية والسلامة.

٨. تعرض المهاجرين لأمراض الشبهات والشهوات التي تهدف لضياعهم وإبعادهم عن دينهم، ويتم ذلك وفق تخطيط مدروس من أعداء الدين، الذين يسعون للإفساد بكل ما أوتوا من قوة مادية وإعلامية واقتصادية، وهذا شأنهم وديدنهم من بعثة سيد الخلق والبشر نبينا ﷺ.

ثانياً: من الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

١. فراق الأهل والدار والوطن، وما ينتج عنه من آلام نفسية واضطرابات اجتماعية، وهو أمر ملاحظ بين اوساط المهاجرين، بل تؤكد الإحصائيات الدراسات تزايد حالات الطلاق وارتفاع معدلاتها بشكل ظاهر، وكذلك كثرة المشاكل والخلافات سواء على الصعيد الأسري، أو الصعيد الاجتماعي وهكذا.....

٢. تعرض المهاجرين بطرق غير قانونية للمخالفات من الدول المهاجر إليها:(غرامات مالية– السجن– الترحيل– المنع من العمل....)، وكل ذلك إما بسبب جهلهم بتلك العقوبات، أو علمهم بها وتبرير ارتكابها بضرورة تأمين المعيشة أو الهروب حفاظاً على الروح والبقاء على قيد الحياة، والفرار مما يعانونه من ويلات الحرب...

٣. ارتفاع نسبة البطالة، لعدم توفر فرص العمل، أو لوجود عوائق تمنع المهاجر من العمل كاللغة مثلاً، أو اشتراط إذن للعمل، أو فرض تأمينات يعجز عنها المهاجر، ولا يستطيع توفيرها، ناهيك عن توفير متطلبات حياته الأساسية وحياة من يعوله في البلد المهاجر إليه.

٤. قبول العمال للعمل بأجر زهيد، لقلة فرص العمل هذا من ناحية، أو بسبب تحكم رب العمل بالمهاجر واستغلال ظرفه وحاجته، وهذا يزيد مأساة المهاجر المغلوب على أمره، ويجعله يرضخ بالواقع المرير ويستسلم له، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٥. فقدان الأدمغة والعقول التي غادرت من بلدها.

٦. تراجع الدول المهاجر منها اقتصادياً وفكرياً...

٧. زيادة عدد السكّان، وهذا من شأنه أن يُؤثّر، ويُشكّل ضَغْطاً على الخدمات العامّة في الدولة الجاذبة للمهاجرين.

٨. تعرض المهاجر لكثير من الاضطهادات، والعنصرية من سكان البلد الجديد، وهذه ظاهرة مشاهدة وواضحة وللأسف الشديد، وتؤدي لمشاكل نفسية واجتماعية كما سبق، وتمنع وجود الألفة والاستقرار لدى المهاجر، وتجعله مشتتاً لا يعرف حتى الاستقرار النفسي، فهو وإن فرّ من ويلات الحرب المادية، يأتي للبلد المهاجر إليه ليصدم بحرب أخرى تُشن عليه ولكنها من نوع آخر (الحرب النفسية)، وإلى الله المشتكى وهو المستعان وعليه التكلان.

ثالثاً: من الناحية الصحية والنفسية :

١. التسبب بأمراض عديدة عضوية مختلفة، بسبب ما يعانيه المهاجر من متاعب متعددة وضغوط شديدة تتسبب له بهذه الأمراض، أو بسبب أمراض وأوبئة تنتشر بتلك الدولة التي هاجر إليه.

٢. التسبب بأمراض نفسية من حالات الاضطراب والاكتئاب ونحوها مما يتسبب بأمراض عضوية، وخاصة عندما يُعامل المهاجر بطريقة سيئة، ويشعر وكأنه محاصر ومطارد في كل أمر ...

٣. تعرض المهاجرين لأمراض وإصابات خلال طريق الهجرة، أو في البلد المهاجر إليه، وبالأخص عندما تكون طريق الهجرة طويلة ووعرة، ويتعرض فيها المهاجر لمخاطر عديدة قد تودي بحياته كالغرق في البحار، أو القنص عند محاولة دخول الحدود بطرق غير شرعية، وهنالك حوادث وقصص كثيرة فيها من المآسي والأحزان ما تكتب به مجلدات ومجلدات ، أو الإصابة بأمراض

معدية ، وقد تكون قاتلة في البلد المهاجر إليه لضعفه صحياً، أو عدم توفر وسائل الوقاية أو العلاج، وغير ذلك .

المطلب الثاني : فرص وإيجابيات الهجرة

فيما سبق تمت الإشارة لأبرز سلبيات الهجرة من خلال عدد من النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية....

وفيما يأتي سنذكر الجوانب المشرقة للهجرة، والنواحي الإيجابية التي تدعو للتفاؤل والأمل لأن ديننا دين البشرى، وزرع التفاؤل، والتركيز على النواحي الإيجابية المشرقة التي تدعو للعمل، وتزيد الهمة وتقوي العزيمة، وهذا كله دافع للمؤمن أن يجتهد ويبذل قصارى جهده لزرع العمل الصالح النافع له وللآخرين.

أولاً: من الناحية الدينية والأخلاقية والفكرية :

١. الحصول على الوعد الإلهي المتمثل في قوله تعالى: "وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا". فينال المهاجر : الأجر الكبير لصبره وغربته، والأرض الواسعة ، والرزق الوفير، وهذا أمر ملحوظ، فكثير ممن هاجروا تيسرت لهم أمور عمل أفضل بكثير مما كانوا عليه في بلادهم، فحققوا مكاسب كثيرة. .

٢. العمل في المجال الدعوي والتعليمي في البلد المهاجر إليه، خاصة فيمن كان ممنوعاً منه في بلدهن وهذه نعمة عظيمة وفضل كبير يناله المهاجر بتيسر هذا السبل المباركة في الدعوة إلى الله تعالى سواء لأبناء جلدته، أو لأهل البلد

التي هاجر إليها، وبالأخص إن كانت دعوته لغير المسلمين، وأفلح بإدخالهم للإسلام فهو خير له من حمر النعم أم مما طلعت عليه الشمس كما أخبر المصطفى ﷺ.

٣. نقل ثقافات وأخلاقيات ومهارات للبلد المهاجر إليها بما يعود عليهم بالنفع، فيكون هنالك تبادل للثقافات و الأخلاقيات بين كلا البلدين، وتكون منفعة للجميع على اختلاف أشكالها (اقتصادية– فكرية– علمية – تجارية....).

٤. يُصبحُ البلد المُضيف مُتنوّعاً ثقافيّاً، لورود الثقافات المتعددة إليه، والتي حمله له المهاجرون، بتنوع عاداتهم وأفكارهم...

٥. تعلم لغة جديدة وهذا عامل قوة للفرد، فتعلم اللغة يطور الإنسان ويقوي علاقته بمجتمعه الذي يعيش فيه، إضافة لجعله متقبلاً في المجتمع المضيف، مما يعود بالنفع النفسي والاجتماعي على الجميع....

٦. التعرف على ثقافات وأفكار البلد المهاجر إليه، مما يعود بالنفع على المهاجر، ويكسبه مهارات وأفكار تطور حياته...

ثانياً: من الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

١. يتمّ ملء الوظائف الشاغرة في البد المُضيف، مع الحفاظ على النموّ الاقتصاديّ فيه، وهذا يدعم الجانب الاقتصادي، ويقوي نسبة قبول المهاجرين في البلد المضيف.

٢. يجلب المهاجرون معهم العديد من الأفكار الإبداعيّة، والطاقة الكبيرة، مما يطور الأفكار الاجتماعية والاقتصادية للدولة المضيفة.

٣. تزيد نسبة التحويلات الماليّة للدُّول التي يُهاجر منها الأفراد، وهذا يقوي الجانب المالي لدولة ويزيد من اقتصادها.

٤. تَقلُّ نسبة البطالة، وتزداد فرصة المهاجرين في تحسين مستوى معيشتهم، وبالأخص أصحاب الخبرات والمهن النادرة، والتي تكون في ضعف في بعض الدول المهاجر إليها.

٥. رفد السوق المحلي بقوى عاملة من الشباب، خصوصاً إذا كان البلد المُهاجر إليه ترتفع فيه نسبة كبار السن كما هو الحال في ألمانيا، حيث فتحت باب الهجرة بداية الأمر، واستقطبت العديد من اليد العاملة، وخاصة من الشباب نظراً لكونها هرمت اجتماعياً.

٦. الحصول على جنسية البلد المهاجر إليها مما يساعد الفرد على التنقل بعدد من الدول التي لا يسمح له بالتنقل فيها حسب جنسيته الأصلية، إضافة لتوفير الاستقرار الاجتماعي للمهاجر بحصوله على جنسية البلد التي يسكنها.

٧. يُصبحُ المهاجرون قادرين على الادِّخار، وتوفير ما يمكن، ومساعدة أهاليهم الذين لم يتمكنوا من الهجرة، ووضعهم الاقتصادي بحاجة لدعم أهلهم.

الخاتمـــــة

بحديث الايجابيات والتفاؤل نختم هذا البحث المختصر عن الهجرة آملين أن نكون قد وفقنا في تقديم بعض الأفكار التي يمكن أن يستفيد منها المهاجرون في مهجرهم ، ويذللوا من خلالها بعض الصعوبات والسلبيات و العقبات التي تعترضهم، وتكون حافزا لهم للاستفادة من الإيجابيات التي تتاح لهم في بلاد المهجر، سائلين المولى سبحانه أن يرد كل لاجئ ومغترب الى بلده ووطنه سالما آمنا مطمئنا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

١. القرآن الكريم
٢. موقع الجزيرة www-aljazeera.net
٣. موقع العربي الجديد www.alaraby.co.uk
٤. موقع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين www.unhcr.org
٥. سنن الترمذي
٦. صحيح البخاري
٧. صحيح مسلم
٨. الأساس في السنة وفقهها – د. سعيد حوى
٩. سيرة ابن هشام
١٠. مسند الإمام أحمد

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	٤
المبحث الأول :	
أخلاقيات الهجرة	
الخلق الأول :	
الصبر واحتساب الأجر	٧
الخلق الثاني :	
الالتزام بالقوانين النافذة في بلاد المهجر	٩
الخلق الثالث :	
مراعاة أنماط الحياة والتكيف معها	١٢
الخلق الرابع :	
تقدير مواقف البلاد والشعوب التي استضافت اللاجئين	١٣
الخلق الخامس :	
العفة	١٤

المبحث الثاني :

إيجابيات الهجرة وسلبياتها

المطلب الأول :

سلبيات الهجرة ١٨
من الناحية الدينية والأخلاقية والفكرية ١٩
من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ٢١
من الناحية الصحية والنفسية ٢٢

المطلب الثاني :

فرص وإيجابيات الهجرة ٢٣
من الناحية الدينية والأخلاقية والفكرية ٢٣
من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ٢٤

الخاتمـــــة ٢٦

مصادر البحث ٢٧

محتوى البحث ٢٨